

شاكِر الحوكي | Chaker Houki*

الشباب والثورة:

هل تصلح المقاربة الجيلية أساساً لقراءة الثورة التونسية؟

Does Generational Theory Provide an Explanation for the Tunisian Revolution?

تفرز قراءة الثورة التونسية انطلاقاً من المقاربة الجيلية أربعة أسئلة رئيسة. يتعلق السؤالان الأول والثاني بصعوبة العثور على الوعي الجيلي والسياسي لدى الشباب التونسي وأساساً قبل الثورة. أما السؤالان الثالث والرابع فيتعلقان بالمقاربة الجيلية نفسها التي تعاني الهشاشة في مفاهيمها وضعفاً في الإحاطة بكل الظواهر الاجتماعية المستجدة. هل يعني ذلك أن هذه المقاربة لا تصلح لمقاربة الثورة التونسية مقارنة تامة وأن الثورة التونسية عضية على مقاربتها مقارنة جيلية؟ تسعى هذه الدراسة لتبيان أنه بقدر غياب الشروط الأساسية لمقاربة الثورة التونسية جيلياً، وبقدر النقد الموجه إلى هذه المقاربة، يبدو المجال فسيحاً للعثور ليس فقط على التفاعلات الممكنة بين الثورة التونسية والمقاربة الجيلية، ولكن أيضاً لفهم أفضل لمجمل التحولات الكبرى التي تعيشها تونس.

كلمات مفتاحية: الشباب، الثورة التونسية، المقاربة الجيلية.

Any attempts to interpret the Tunisian Revolution of 2011 through the prism of generational shifts raises four major questions. The first two concern the difficulty of attributing to young Tunisians any kind of generational or political consciousness, particularly before the outbreak of the revolution in 2011. The third and fourth questions relate to the concept of the "Generational Theory" itself and its ability (or otherwise) to explain a wide spectrum of social factors. Can the demographic approach sufficiently describe the Tunisian Revolution of 2011? This paper will demonstrate that a demographic approach can illuminate not only an understanding of the Tunisian Revolution, but also of the wider social and political changes which have shaped the country in recent times.



Keywords: Youth, Tunisian Revolution, Generational Theory.

* أستاذ القانون العام، كلية الحقوق والعلوم السياسية بتونس، جامعة تونس المنار.

* Professor of Common Law, Faculty of Law and Political Science, Tunis El Manar University

ذلك أن الشباب حالة عابرة في حياة الإنسان، ولا يمكن أن تترتب عليها استحقات ثابتة للأشخاص أنفسهم الذين شاركوا في الاحتجاجات.

وهكذا، فإن محاولة استنطاق المسكوت عنه في علاقة الشباب بالثورة، وتفكيك الملتبس منها ضمن مقاربة علمية، تبدو أسلم طريق ملامسة الموضوع، بعيداً عن متهاتات الانزلاق في التوظيف السياسي، فنسأل: بأي معنى شارك الشباب في الثورة؟ وهل كانت الثورة التونسية ترجمة فعلية لوعي جيلي وسياسي حقيقي؟

وهنا، تُطرح المقاربة الجيلية بالحاح؛ ليس فقط لأنها تقوم على الربط بين الجيل والامتغرات السياسية، ولكن لأن الثورة التي حدثت في تونس تمنحنا فرصة نادرة لدراسة هذه العلاقة بينهما. وهنا يبرز الدور الحاسم الذي اضطلع به كارل مانهايم⁽²⁾ في تطوير الدراسات الجيلية، ولا سيما فيما يتعلق بالتنظير للعلاقة بين الجيل والتغيير الاجتماعي⁽³⁾؛ إذ يعود له الفضل، هو وفرنسوا مونترتي⁽⁴⁾، وخوسيه أورتيغا إي غاسيت⁽⁵⁾ في وضع أسس النظرية الجيلية ومبادئها⁽⁶⁾. وهذه الأسس والمبادئ تبقى معتمدة حتى الآن⁽⁷⁾، وخصوصاً فيما يتعلق بطبيعة الصراع الذي طبع هذه النظرية بطابعه ومختلف أشكاله: صراع بين الأجيال، يرفض فيه جيل الشباب سلطة الكبار، وصراع داخل الجيل نفسه، بفعل الاختلاف الذي يحصل في الرؤى والتصورات⁽⁸⁾. والثابت أن هناك إسهامات عديدة كان من شأنها تعزيز هذه النظرية وإثراؤها؛ لعل من أهمها دراسة مارغريت وريشارد برونغارت حول تعريف "الأجيال السياسية"⁽⁹⁾، وهي أهم الإضافات التي جادت بها العلوم السياسية.

2 Karl Mannheim, "The Problem of Generations," in: Karl Mannheim, *Essays on the Sociology of Knowledge: Collected Works*, vol. 5, Paul Kecskemeti (ed.), (London: Routledge/ Kegan Paul, 1952), pp. 276-322.

3 Margaret Braungart & Richard Braungart, "Les générations politiques," in: Jean Crête & Pierre Favre (dir.), *Génération en politique* (Paris and Laval: Economica/ PUL, 1989), p. 14.

4 François Mentré, *Les générations sociales* (Paris: Bossard, 1920).

5 José Ortega y Gasset, *Le thème de notre temps* (Sainte-Foy: Le griffon d'argile, 1926).

6 Braungart & Braungart, pp. 13-14.

7 Magali Boumaza & Jean François Havar, "Génération politiques: Regards comparés. Avant-propos au thème," *Revue internationale de politique comparée*, vol. 16, no. 2 (2009), p. 183; Claudine Attias-donfut, "La notion de génération: Usages sociaux et concept sociologique," *L'Homme et la société*, no. 9 (1988), pp. 36-50.

8 Mannheim, "The Problem of Generations," p. 292.

9 Braungart & Braungart, pp. 29-31.

"كل ثورة دليل حيوية. والشباب هو الجزء الحيوي في الجسم. [...] وقلماً تكون هناك ثورة شيوخ. [...] والفرق بين 'الثورة' و'الهوةجة' هو أن 'الهوةجة' تقتل الصالح والطالح معاً. [...] أما 'الثورة' فهي تُبقي النافع، وتستمد منه القوة، بل وتصدر عنه أحياناً. [...] ولكن المسألة ليست دائماً بهذه البساطة، فالثورة والهوةجة تختلطان أحياناً. [...] و[الثورة] كي تؤكد ذاتها وتثبت أقدامها تلجأ إلى عنف الهوةجة لاقتلاع كل ما كان قبلها، وتجعل بداية كل خير هو بدايتها، وتاريخ كل شيء هو تاريخها".

توفيق الحكيم⁽¹⁾.

مقدمة

يؤدّ تناول المسألة الشبابية في علاقتها بالثورة التونسية إجرافاً قد يصعب تجاوزه؛ فإما أن نكون إلى جانب فئة الشباب وتأكيد دورها فيها، ومن ثم الانزلاق نحو خطاب تمجيد يضحّم بطولاتها المزعومة. وإما أن ننخرط في قراءة نقدية لهذا الدور؛ فننتورط في موقف معادٍ لها، بل قد ننورط في قراءة بائسة تحاول أن تنسب الثورة إلى غير من قام بها، أو حتى إنكارها هي ذاتها.

تتضح علاقة الشباب بالثورة بالقراءات السياسية - وهي قراءات متوترة - على أكثر من صعيد: فمن يحاول أن ينكر على الشباب دورهم في الثورة، يبدو كأنه يحاول "سرقة" شيء لم يسهم فيه. ومن يلج في أنها ثورة الشباب بلا تحفظ، فإنما يحاول أيضاً، ولو بطريقة مختلفة، اللاتفاف عليها من خلال إقصاء أي دور للفاعلين فيها.

ولا يتعلق الأمر بمحاولة إقصاء الخصوم السياسيين والاجتماعيين فقط، ولكنه يتجاوز ذلك إلى الرغبة في الحلول محل الشباب أنفسهم؛ فالزعم أنها ثورة الشباب، بينما لا يستطيع الشباب ترجمتها سياسياً واجتماعياً بما يخدم مطالبهم، يعني أن السياسي هو من سيتعهد تلقائياً بتنفيذ هذه المهمة، وكأن في الأفق تفويضاً ضمناً متروكاً لمن يتلقفه.

وتأكيد أن الثورة "ثورة الشباب" فيه أيضاً نوع من الاستخفاف بالشباب، بوصفهم عنوان التهور والخفة، بل ربط ما حدث بالوهم؛

1 توفيق الحكيم، ثورة الشباب (القاهرة: دار مصر للطباعة، 1988)، ص 11-12. لعلنا كنا مضطرين إلى هذا الاقتباس الافتتاحي من توفيق الحكيم لنسوق ملحوظة أساسية منذ البداية، وهي أن هذا البحث لا يطمح إلى التشكيك في مشاركة الشباب في الاحتجاجات التي سبقت الثورة، ولكن من الضروري التفريق بين الحراك الاحتجاجي الذي شارك فيه الشباب بكثافة، والحراك الثوري الذي يشمل الاحتجاجات ويتجاوزها؛ فالاحتجاجات جزء من الثورة وليست كل الثورة. كذلك، وجب التفريق بين الشباب ومشاركته ضمن أفق جيلي يملك تصوراً ورؤية للعالم ووعياً ذاتياً بنفسه، والشباب بوصفه معطى موضوعياً لا أكثر. هل تنبغي الإشارة أيضاً إلى أن طموح البحث ليس التشكيك في الثورة أبداً، وإنما هو الانخراط في ديناميكيتها وتفكيك مسارها؟

وعلى الرغم من أن بعض هذه العناصر لا يمكن إنكار وجودها في الثورة التونسية (الحدث السياسي، والتحرك الشبابي)، فإن مسألة الوعي الجيلي أو الوعي السياسي تبدو من المفاهيم الغائبة التي يصعب العثور عليها في الحالة التونسية، علمًا أن جل الدراسات الجيلية تؤكد أهمية الوعي الذاتي في صفوف أفراد الجيل الواحد، وأن كلمة "جيل" ليست تجميعًا لأفراد وُلدوا في الحقبة الزمنية نفسها، بل إنهم مجموعة من الفاعلين الاجتماعيين الواعين الذين يملكون القدرة على الإدراك والتصرف وفقًا لفلسفة حية أو نظرة مشتركة للعالم⁽¹³⁾.

وعادة ما يُعرّف الجيل السياسي في الدراسات الجيلية بأنه الفئة العمرية التي تنفرد بوعي أفرادها في لحظة زمنية استثنائية بالتغيير الاجتماعي والسياسي⁽¹⁴⁾، بل التحاقهم بدوائر النضال والنشاط فيها ضمن منظمات مدنية أو تشكّلات سياسية⁽¹⁵⁾. أما الوعي الجيلي، فهو ذلك الإحساس الذي يتشكل بفعل العلاقات الاجتماعية التي تنشأ بين مجموعة من الأفراد المتقاربين عمريًا الذين تُؤدّهم قيم مشتركة، ويكون هدفهم خلق وضعيات سياسية جديدة؛ فالوعي الجيلي يكاد يكون حينئذ شرطًا للوعي السياسي، وهو ما يعني بدوره أن الجيل يستطيع أن يوجد في ذاته، من دون أن يتحوّل بالضرورة إلى فاعل سياسي إذا لم ينتظم اجتماعيًا، وإذا أصبح قائمًا لذاته؛ وهو الأمر الذي حصل مع جيل الستينيات لتمثله الوعي لهموم الشباب في كل أنحاء العالم، وطموحهم المعلن نحو التغيير الاجتماعي والسياسي.

غير أن تتّبع يوميات الثورة التونسية يضعنا أمام حقيقة أخرى؛ فحجم الخراب الذي لحق بالملك العام، وحتى الخاص، فضلًا عن النهب الذي شمل الفضاءات العمومية، يدلان على أن المشاركة الشبابية في هذه الثورة، لم تكن واعية، ولم تحمل مشروعًا سياسيًا محددًا، وإن أربكت القيادة السياسية آنذاك. وهذا ما يدعونا إلى التساؤل عن حقيقة الوعي الجيلي لدى الشباب المشاركين في الاحتجاجات. وهنا، وجب ألا نطمئن كثيرًا إلى شعار "خبز، حرية، كرامة وطنية" الذي التقطته النخبة بسرعة، وجعلته العنوان الأبرز للثورة؛ فالشعارات التي رُفعت آنذاك كانت من كل لون وطعم.

لكن، إلى أي حد يمكن اعتبار المقاربة الجيلية المقاربة المثلى لتفسير اندلاع الثورة؟ تلك هي الإشكالية التي سنحاول الإجابة عنها، منطلقين من فرضية التشكيك في قدرتها على أن تكون أساسًا لقراءة الثورة التونسية، وذلك ضمن أفق منهجي يزاوج بين الوصفي والتحليلي والنقدي من جهة، والسوسيولوجي المرتكز على المعايير الذاتية المستندة بدورها إلى كثير من الدراسات الإحصائية والميدانية من جهة أخرى.

ولحل الإشكالية المطروحة، سنقسّم هذه الدراسة إلى جزأين: جزء أول نبين فيه كيفية إفلات الثورة التونسية من أهم محددات المقاربة الجيلية؛ وجزء ثانٍ نوضح فيه عجز المقاربة الجيلية عن مقارنة الثورة التونسية.

أولاً: إفلات الثورة التونسية من أهم محددات المقاربة الجيلية

هل يمكن تنزيل المقاربة الجيلية على الثورة التونسية؟ يبدو أن جملة الخصوصيات التي ميزت الثورة التونسية تجعلها تُفقد جزئيًا أو كليًا بحسب المرحلة من أن تكون مشمولة بشروطها أو مستجيبة لعناصرها.

1. إفلات شبه كلي قبل الثورة

فتح خروج الشباب إلى الشوارع، وتزامن ذلك مع هروب الطاغية، زين العابدين بن علي، إلى المملكة العربية السعودية، الباب على مصراعيه لمقاربة الأحداث من زاوية نظر جيلية⁽¹⁰⁾، واعتبار هذا الخروج تنويجًا لمسار النضالات المتلاحقة الذي سلكته الأجيال السابقة بغية تحقيق الحرية والكرامة. لكن المقاربة الجيلية تبدو أشدّ تعقيدًا وأعمق من هذه القراءة السطحية؛ ذلك أنها تقوم على جملة من الوحدات المتداخلة التي يصعب فصل بعضها عن بعض، ولكن يمكن حصرها، عمومًا، في الحدث التاريخي، والجيل السياسي، والتحرك، والوعي الجيلي. وكان كارل مانهايم قد ربط منذ البداية بين الوعي الجيلي وبروز الحركات الجيلية⁽¹¹⁾. وتواصل الأمر مع رودلف هابري الذي أكد، في إطار محاولته تطوير نظرية مانهايم، أن الوعي الجيلي هو الذي يسمح بتحريك الجيل السياسي⁽¹²⁾.

13 David Knoke, "Conceptual and Measurement Aspects in the Study of Political Generations," *Journal of Political and Military Sociology*, no. 12 (1984), pp. 101-201;

محمد فريد عزي، "الأجيال والقيم: مقارنة للتغير الاجتماعي والسياسي في الجزائر"، أطروحة دكتوراه دولة في علم الاجتماع السياسي، جامعة وهران، وهران - الجزائر 2008، ص 49.

14 Braungart & Braungart, p. 9.

15 Olivier Fillieule (dir.), *Le désengagement militant* (Paris: Belin, 2005), note 10 à l'avant-propos, p. 252; Olivier Fillieule, "Propositions pour une analyse processuelle de l'engagement individuel," *Revue française de science politique*, vol. 51, no. 1-2 (2001), pp. 199-217.

10 محمد علي بن زينة، "جيل الثورة: قراءة سوسيوديمغرافية في تحولات واقع الشباب في سيدي بوزيد والقصرين ودورها في قيام الثورة التونسية"، في مجموعة مؤلفين، الثورة التونسية: القادح المحلي تحت مجهر العلوم الإنسانية (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014)، ص 147-180.

11 Magali Boumaza, "Les générations politiques au prisme de la comparaison," *Revue internationale de politique comparée*, vol. 16, no. 2 (2009), p.192.

12 Rudolf Heberle, *Social Movements: An Introduction to Political Sociology* (New York: Appleton Century-Crofts, 1951); Boumaza, p. 192, 194.

المعارضة، خصوصاً الاتحاد العام التونسي للشغل، ولو لم يحرض على المشاركة فيه راشد الغنوشي ومنصف المرزوقي وطارق المكي، وهم أبرز المتدخلين على الفيسبوك في تلك الأيام الملحمية، وهو ما يجرد الشباب من امتلاكهم زمام المبادرة؟

أما حدثا القصة الأول والثاني (الاعتصامات التي حدثت في ساحة القصة من أجل إسقاط الحكومة مباشرة بعد رحيل بن علي، أي بعد 14 كانون الثاني/يناير)، فقد كشف النقاب عن حقيقة أخرى للشباب التونسيين؛ فهم شباب قادمون من كل مكان من العاصمة، يريدون أن يفهموا ماذا يجري ويستكشفون الأمر؛ وشباب آخرون، جاء بهم من أعماق البلاد ليرابطوا في الخيام من دون أن يعرفوا ماذا يريدون بالضبط (وهو استنتاج توصلنا إليه عن قرب من خلال الحوارات التي جمعناها بالمعتصمين مباشرة). وقد فرضت هوية الاتحاد العام التونسي للشغل وحركة النهضة وحزب العمال الشيوعي نفسها في ذلك الوقت، على نحو جعل الشباب وقوداً لصراع يشملهم ويتجاوزهم في الوقت نفسه. كما أن مجالس حماية الثورة وروابطها اللاحقة عرفت هي أيضاً مشاركة فاعلة للشباب، ولكنها كانت تتحرك ضمن أفق حزبي ونقابي منذ البداية، ولم توفّق في أن تطرح القضايا الرئيسية المتعلقة بالشباب.

الحقيقة المرة التي ستؤكد غياب أيّ حضور للوعي الجيلي والسياسي ستوضح جلياً من خلال مسارعة الشباب إلى ركوب قوارب الموت؛ بحثاً عن جنة منشودة على ضفاف البحر المتوسط الأخرى، في موجات هجرية مكثفة وغير مسبوقه، لتنفجر كل الأسئلة الحارقة عن أسباب هذا الخيار: كيف للشباب أن يختاروا الهجرة إلى أوروبا طريقاً للخلاص والحال أن البلاد لم تلبث أن تخلصت من نظام ديكتاتوري وتتأهب للدخول في عهد جديد من الحرية والكرامة؟ وكيف نفسر ذهابهم إلى بؤر القتال والحال أن البلاد في طريقها إلى أن تفتح ذراعيها لجميع أبنائها؟ والمدهش أن يتقاسم الشباب المشاركون في الثورة والشباب المهاجرون المواصفات النفسية والاجتماعية نفسها تقريباً، وهو الأمر الذي تمكّننا من استنتاجه من الدراسات الميدانية التي أجراها بعض الباحثين⁽¹⁹⁾.

في النهاية، سقطت حكومتا الغنوشي، الأولى والثانية اللتان خلفتا الرئيس المخلوع، وجاءت حكومة الباجي قائد السبسي، وذهب الجميع لانتخاب أعضاء المجلس التأسيسي، وبدأت الحقيقة المرة أشدّ وضوحاً.

لم ينخرط الشباب بقوة في الأحزاب السياسية، ولم يتم انتخاب أحزاب شبابية، وحتى الشباب الذين شاركوا في الحملات الانتخابية لبعض

والسؤال المطروح: هل يكفي الاحتجاج حتى يتحول الشباب المحتجون إلى جيل سياسي؟ هذا السؤال طرحته بينيديكت ريكابي من قبل في دراستها التجريبتين المكسيكية والمجرية، وانتهت إلى أن الفعل الاحتجاجي لا يمكن أن يتحول إلى فعل سياسي، والجيل الاحتجاجي إلى جيل سياسي، إلا إذا توافرت شروط محددة⁽¹⁶⁾، وهي شروط تبدو غائبة في الحالة التونسية؛ ذلك أن التحركات التي شارك فيها الشباب على نحو عفوي ومكثف انحصرت في الأحياء الشعبية، وذلك خلافاً لغيرها من التظاهرات المؤطرة التي كانت تخرج بالأساس من أمام المقرات الجهوية للاتحاد العام التونسي للشغل⁽¹⁷⁾. كما أن تسارع الأحداث طوال فترات الاحتجاج حرم الشباب من أن يدخلوا في علاقات بينية تفاعلية من أجل تحقيق التغيير المنشود وإدراك أنفسهم إدراكاً واعياً، بوصفهم وحدة أو وحدات جيلية.

أما الحشد الضخم الذي اجتمع أمام وزارة الداخلية يوم 14 كانون الثاني/يناير 2011، فلم يكن حشداً شابياً خالصاً، ولم يكن يعكس رغبة فعلية في المشاركة بقدر ما كان يعكس دوافع متعددة؛ فمنهم من كان معنياً بالشأن العام، وكان يرغب في الاحتجاج؛ ومنهم من وجد نفسه هناك صدفةً، أو شارك من باب الفضول والاستطلاع. وقد بيّن أمين علال، من خلال المقابلات التي أجراها مع بعض المشاركين في تلك الاحتجاجات، أن مشاركتهم كانت تعود في أحيان كثيرة إلى أسباب نفسية واجتماعية معقدة جداً، ولا يمكن حصرها في إعلان الرغبة في إطاحة نظام بن علي⁽¹⁸⁾.

ونحن نتساءل: هل كان لهذا الحشد أن يحصل لولا موافقة السلطة السياسية آنذاك عليه؟ أم يكن بن علي هو من سمح في خطابه الأخير (بتاريخ 13 كانون الثاني/يناير 2011) قبل أن يرحل، بحق التظاهر ضمن حزمة من الإجراءات التي كان يرغب من خلالها في تدشين مرحلة سياسية جديدة تقوم على الانفتاح على الحريات السياسية، بل إنه ذهب إلى حد التعهد بالألا يترشح لانتخابات عام 2014؟ وهل كان لهذا الحشد أن يحدث لو لم تتناد له الأحزاب والقوى السياسية

16 Bénédicte Récapé, "Mobilisation étudiante et génération politique: qui précède l'autre? Réflexions comparatives à partir des exemples hongrois (1956) et mexicain (1968)," *Revue internationale de politique comparée*, vol. 16, no. 2 (2009), p. 220.

17 كان أول تحرك مساند لأهالي سيدي بوزيد من جانب الاتحاد العام التونسي للشغل قد انطلق يوم 25 كانون الأول/ديسمبر 2010 من ساحة محمد علي حيث يوجد مقر اتحاد الشغل. وتكرر ذلك بصفة رسمية صباح يوم 27 كانون الأول/ديسمبر 2010 بالعاصمة، ويوم 12 كانون الثاني/يناير 2011 بمدينة صفاقس، وقد أقر الاتحاد الإضراب العام يوم 14 كانون الثاني/يناير في العاصمة.

18 Amin Allal, "Trajectoires 'révolutionnaires', processus de radicalisations politiques, 2007-2011," *Revue française de science politique*, vol. 62, no. 5-6 (2012), p. 831.

2. إفلات جزئي بعد الثورة

إذا ما استعملنا نظرية "تأثير المرحلة"، بوصفها أساساً للمقاربة الجيلية، واعتبار أن جيل الثورة هو الجيل الذي تأثر بالثورة، لا الجيل الذي وكبها، وهي مقارنة أشد ملاءمة للثورة التونسية من مقارنة تأثير دورة الحياة، أو تأثير "الزمرة"، فسيصعب هنا أيضاً تطبيق المقاربة الجيلية؛ بسبب غياب أركانها الأساسية المتعلقة بالوعي السياسي أو الوعي الجمعي⁽²²⁾. والمدعاه أن جل التحركات الشبابية التي حدثت بعد الثورة، إنما كانت احتجاجاً على عدم التشغيل، وذلك على غرار "حملة المفروزين أمنياً"⁽²³⁾، واحتجاجات "جمعية المعطلين عن العمل"، وهنا يُطرح الإشكال من جديد حول صلاحية تبني المقاربة الجيلية والحال أن الوعي السياسي غير قادر على تجاوز المطلب التشغيلي.

”

إن طغيان الهم الشخصي بعد الثورة لم يخلُ من بروز وعي جيلي سياسي صاعد، وقد ظهر ذلك من خلال تحركات شبابية كانت نتيجة مباشرة لمناخ الحريات الذي برز بفعل الاستحقاقات الثورية والدستورية

”

تبدو هنا التجارب المقارنة بالغة الأهمية؛ فأحداث أيار/ مايو 1968 في فرنسا، التي انطلقت من الجامعة وأحدثت زخماً في الدراسات الجيلية، كشفت أن التحركات الشبابية كانت مشغولة بالأساس بالحقوق السياسية، ومعارضة الحرب في فيتنام. كما أن الانتفاضة المجرية، عام 1956⁽²⁴⁾، قد ركزت بالأساس على المطالب السياسية التي صيغت ضمن عرائض مكتوبة، ودعوات واضحة للنزول إلى الشارع للمطالبة بانتخابات حرة ونزيهة، وإرساء نظام ديمقراطي. أما التحركات الطلابية في المكسيك، صائفة عام 1968، فقد نددت بطبيعة النظام السياسي، وطالبت بتحرير المساجين السياسيين⁽²⁵⁾.

الأحزاب كانوا قد شاركوا فيها؛ بفعل انتمائهم السياسي الموروث. أما الإدمان على الكحول والمخدرات، وانتشار الأغاني على وسائل التواصل الاجتماعي التي تدين الثورة وتصرح بحنينها إلى العهد البائد، وهي من المظاهر التي برزت بقوة، فلم تكن تمثل إلا الوجه الآخر لهذا الغياب للوعي السياسي.

أما عندما كان المجلس التأسيسي التونسي يناقش فصول الدستور، ويحاول جاهداً العثور على أشد التوافقات بين مختلف التصورات الحزبية والأيدولوجية ملاءمة، فإن الشباب لم يكونوا مغيبين فقط من المشاركة في هذا النقاش - بمعنى أنهم لم يكونوا طرفاً أساسياً فيه - ولكن الدستور أيضاً وُضِعَ على نحو يخلو من أي تصور أو أفق شبابي. والحصلة هي فصل لا غير يعترف للشباب بأنهم قوة فاعلة في المجتمع، في إطار تصور كلاسيكي للحريات والنظام السياسي، ليس فيه أي خيال أو روح شبابية أو مكانة حقيقية لهم. بل إن عبارة "ثورة الشباب" لم تُذكر في الدستور على الإطلاق⁽²⁰⁾. ولعل خيار المجلس الوطني التأسيسي إسقاط تحديد السن القصوى من شروط الترشح لمنصب رئاسة الجمهورية لا يمكن قراءته إلا بوصفه استهدافاً مبطناً للشباب. وهو استهداف حصل من دون أن يلقي معارضة من الشباب أنفسهم.

وقد اتضح من خلال بارومتر الشباب لعام 2012 الذي أنجزه المرصد الوطني للشباب في دراسته بعنوان "الشباب والمشاركة السياسية"، أن 93 في المئة من الشباب لم يشاركوا في العمل الجمعياتي، وأن 77.7 في المئة منهم لم تكن لهم مشاركة في النشاطات الحزبية. ومعنى هذا أن التحرك الشبابي في الثورة هو تحرك "احتجاجي يغذيه الانفعالي أكثر مما يغذيه العقل"⁽²¹⁾.

لا مناص حينئذ من الاعتراف بغياب الوعي السياسي بوصفه شرط تشكّل الجيل السياسي، وشرط اعتماد المقاربة الجيلية. وما من حيلة لتجاوز هذا المعطى إلا بتغيير معنى الوعي السياسي وأشكاله، أو "تطويع" مفهومه ليشمل ما يمكن وصفه بـ "السلوكيات الجديدة للوعي السياسي"، وهو ما يتطلب إثباته عملاً تنظرياً وميدانياً.

هذا فيما يتعلق بتنزيل المقاربة الجيلية على المرحلة التي سبقت الثورة، فماداً عن المرحلة التي تلتها؟

22 Vincent Tournier, "Génération politiques," in: Bruno Cautres & Nonna Mayer (dir.), *Le nouveau désordre électoral: Les leçons du 21 avril 2002* (Paris: Presses de sciences po, 2004), p. 230.

23 "المفروزون أمنياً" هم مجموعة من الشباب الذين حُرّموا من حقهم في العمل في الوظيفة العمومية بسبب نشاطهم النقابي المعارض حينما كانوا طلبة في الجامعة.

24 Récapé, p. 208.

25 Ibid., pp. 206-209.

20 بحسب الفصل 8 من الدستور، فإن "الشباب قوة فاعلة في بناء الوطن تحرص الدولة على توفير الظروف الكفيلة بتنمية قدرات الشباب وتفعيل طاقاته وتعمل على تحمله المسؤولية وعلى توسيع إسهامه في التنمية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية".

21 المرصد الوطني للشباب، الشباب والمشاركة السياسية: مسح استطلاعي لنوايا المشاركة في الشأن العام (تونس: 2012)، ص 5-6؛ وهي النتيجة نفسها التي توصلت إليها تقارير أخرى، مثل: البنك الدولي للإنشاء والتعمير، مجموعة البنك الدولي، تونس: إزالة الحواجز أمام إشراك الشباب (واشنطن: 2014)، ص XV.

الجهة من خلال فرض مبدأ المساهمة في التنمية على المؤسسات النفطية في المنطقة، ونشر الأرقام الحقيقية بخصوصها، بل المطالبة بفرض الدولة سيادتها على ثرواتها الطبيعية بتأميمها.

وقد انتهى هذا الاعتصام بالتوصل، بعد جولات من المفاوضات بين المعتصمين والحكومة، إلى اتفاق شاركهم فيه الاتحاد العام التونسي للشغل، في 16 تموز/ يوليو 2017. وكانت النتيجة تخصيص مبلغ 80 مليون دينار تونسي سنوياً لصندوق التنمية والاستثمار في تطاوين، وعدم تتبع العدلي لكل من شارك في الاحتجاجات، فضلاً عن توفير أكثر من 4500 فرصة عمل لشباب المنطقة⁽²⁷⁾.

وتجلى مظهر آخر لهذا الوعي الجيلي والسياسي، من خلال الإضراب العام الذي نظمته طلبة الحقوق في العاصمة وبقيّة الولايات، ودام أكثر من شهرين خلال عام 2017، وذلك للمطالبة بإلغاء الأمر 345 المؤرخ في 9 آذار/ مارس 2017، المتعلق باشتراط الحصول على شهادة الماجستير لاجتياز مناظرة دخول المعهد الأعلى للقضاء⁽²⁸⁾. وعلى الرغم من أن مطلب التشغيل كان حاضراً في خلفية الاحتجاجات (من خلال المطالبة بالإبقاء على حظوظ المترشحين لاجتياز مناظرة القضاء من دون أن تطول بهم مدة الدراسة الجامعية حتى الحصول على الماجستير)، فإن طريقة الطلبة في إدارة اختلافاتهم عبر صندوق الاقتراع من خلال اللجوء إلى الانتخاب، والضغط على الحكومة من خلال تنظيم التظاهرات والاعتصامات، وتوحيد صفوفهم حول مطلب واحد، مثلت (بقدر ما) نقلة نوعية في الوعي السياسي.

تجدر الإشارة أيضاً إلى أن بعض الندوات التي نظمتها مراكز دراسات وطنية، كشفت عن درجة عالية من الوعي السياسي والجيلي لدى الشباب، ممزوجة بمشاعر الغبن والخيبة والضيم، مختزلاً مهمة السياسيين في محاولة استبعادهم من المشاركة الفعلية في اتخاذ القرار السياسي، أو استغلالهم فيما يخدم مصالحهم لا مصالح الشباب. وقد جاء على لسان أحد الشباب المتدخلين في إحدى هذه الندوات قوله: "إن تشبث الشيوخ والكهول بالكراسي لا يترك مجالاً للشباب"⁽²⁹⁾. أما عبارة "صراع الأجيال" فقد وردت صراحة على لسان إحدى المتدخلات في ندوة أخرى، عندما قالت: "أشعر بأن هناك

ومع ذلك، فإن طغيان الهم الشخصي بعد الثورة لم يَحُلْ من بروز وعي جيلي سياسي صاعد، وقد ظهر ذلك من خلال تحركات شبابية عدة، كانت نتيجة مباشرة لمناخ الحريات الذي برز بفعل الاستحقاقات الثورية والدستورية. وقد ظهر هذا الوعي الجيلي، خصوصاً من خلال حملة "مانيش مسامح" ضد قانون المصالحة الإدارية أو "العفو عن الفاسدين" الذي حرصت رئاسة الجمهورية على تمريره بذريعة إنعاش الاقتصاد وتحرير الإدارة من القيود المسلطة عليها بفعل تهم الفساد المتورطة فيها، وهي أكثر الحملات الشبابية تعبيراً عن هذا الوعي السياسي. وعلى الرغم من أن المشاركين في الحملة كثيراً ما تجاوزت سنهم الثلاثين، فقد بقيت الروح الشبابية طاغية على الحملة التي استطاعت أن توحد صفوف فئة شبابية متعددة المشارب الفكرية والسياسية ضد الفساد، وتمكنت من أخذ زمام المبادرة، بل الذهاب إلى الساحات العامة والشوارع لقيادة المسيرات.

وقد نجحت هذه الحملة بعد عامين من انطلاقها في أن تكون مستقلة عن الأحزاب بعض الشيء، وتبتكر وسائل احتجاجية طريفة وخلاقة (قمصاناً عليها شعار مطرقة العدالة)، وتفرز تصوراً جديداً للمواطنة والوطن، قوامه رفض الفساد. كما نجحت الحملة في ضم شباب الذكور والإناث من ذوي المستوى التعليمي العالي، وهو ما أكد وجود وعي سياسي وجيلي بارز سبق أن عبّر عنه رئيس "شبكة دستورنا"، جوهر بن مبارك، بالقول: إن "هؤلاء الشباب كانوا بعد سقوط النظام القديم أطفالاً، وقد بدأ وعيهم السياسي يتشكل في فترة الثورة"⁽²⁶⁾.

وينطبق الأمر نفسه على حملة "وينو البترول؟"، و"اعتصام الكامور"، وهما اللذان ارتقيا بدوريهما من خلال المطالب التي وضعها الشباب الناشطون إلى مستوى التعبير عن الهمّ الوطني. كشفت حملة "وينو البترول؟" عن وعي سياسي غير مسبوق. وهي حملة دشنها مجموعات شبابية على المواقع الاجتماعية، مستفجرة عن مصير الثروة النفطية الموجودة في البلاد، لكنها سرعان ما تحولت إلى مسيرات شعبية ونقاشات سياسية مكثفة. وقد اتهم الناشطون في هذه الحملة الدولة بإخفائها الحجم الحقيقي للموارد البترولية في البلاد، مطالبين إياها بالكشف عن ملفات الفساد والصفقات المشبوهة المتعلقة بهذه الثروة. وقد شكلت هذه الحملة منطلقاً لما عُرف فيما بعد باسم "اعتصام الكامور"؛ فقد اعتصم عدد من الشباب في صحراء تطاوين، في منطقة تُسمّى الكامور، مطالبين بحقوقهم في التشغيل، وسرعان ما تطورت مطالبهم لتشمل الدعوة إلى تنمية

27 لمزيد من المعلومات حول اعتصام الكامور، انظر: "اعتصام الكامور"، ويكيبيديا، شوهده في 2018/5/6، في: <https://goo.gl/iGYxVn>

28 الجمهورية التونسية، رئاسة الحكومة، "أمر حكومي عدد 345 لسنة 2017 مؤرخ في 9 مارس 2017 يتعلق بتنقيح الأمر عدد 1290 لسنة 1999 المؤرخ في 7 جوان 1999 المتعلق بتنظيم المعهد الأعلى للقضاء وضبط نظام الدراسات والامتحانات والنظام الداخلي"، الرائد الرسمي للجمهورية التونسية، السنة 160، العدد 20 (آذار/ مارس 2017).

29 "ندوة بعنوان: آليات حث الشباب على المشاركة السياسية"، صفحة مركز دراسة الإسلام والديمقراطية على الفيسبوك، 2017/5/4، شوهده في 2018/5/6، في: <https://goo.gl/cVkdvm>

26 خميس بن بريك، "مانيش مسامح: صرخة شباب تونس ضد الفساد"، الجزيرة نت، 2017/5/14، شوهده في 2018/5/6، في: <https://goo.gl/KrcAko>

1. عجز داخلي: هشاشة المقاربة الجيلية بوصفها أداة لتفسير أحداث الثورة التونسية

على الرغم من أن الثورة التونسية لم تزل تحمل معها جملة من الخصوصيات التي تجعلها عصية على الاستجابة لقواعد التفسير الجيلي، ينبغي لنا القول إن المقاربة الجيلية نفسها تشكو من العوائق التي تحد من اعتمادها مقارنة عامة تصلح لكل المجتمعات؛ وذلك لأسباب عدة: لعل أهمها أن المقاربة الجيلية التي نشأت بديلاً من المقاربة الطبقيّة الماركسيّة، بوصفها محاولة لتفسير كبرى التغيرات السياسيّة والاجتماعيّة⁽³³⁾، لا يمكن قبولها من دون إثارة الشكوك حول صلاحيتها المعرفيّة؛ بحكم قيامها على استبعاد غيرها من المقاربات الراسخة في العلوم الاجتماعيّة والسياسيّة. وهذا ما نبه إليه كثير من علماء الاجتماع السياسي الذين أبرزوا الحاجة إلى دمج المقاربة الجيلية مع بقية التفاعلات الاجتماعيّة المرتبطة بالأيديولوجيا والدين والعرق والطبقة الاجتماعيّة⁽³⁴⁾. بل إن التركيز على صراع الأجيال، بوصفه أداة لتفسير كل التناقضات الاجتماعيّة والسياسيّة، لن يكون من شأنه إلا تسييس قضية الشباب، والانحراف بحقيقة الصراع السياسي والاجتماعي المؤسس بطبعه على صراع المصالح المادية والمشاريع المجتمعيّة؛ ذلك أن فئة الشباب ليست كتلة متجانسة، ولا طبقة اجتماعيّة، ولا هوية اقتصاديّة خالصة، بل هي فئة عمرية تشقها التناقضات الاقتصاديّة والصراعات الأيديولوجيّة⁽³⁵⁾.

أضف إلى ذلك أنّ تنزيل المقاربة الجيلية على الثورة التونسية، مع كون هذه المقاربة وليدة مناخات اجتماعيّة وسياسيّة غربيّة مغايرة لواقعنا الثقافي العربي، قد يورطنا مجدداً في الانجرار المعرفي الذي لن يكون إلا على حساب خصوصياتنا المحليّة وحقيقتنا الموضوعيّة؛ فتوافر شروط المقاربة الجيلية في البيئّة الغربيّة لا يعني بالضرورة توافر شروطها في كل مكان.

أما تباين المواقف والتصورات حول مفهوم الجيل، فيمثل بدوره كبرى المعضلات التي تكشف عن هشاشة المقاربة الجيلية⁽³⁶⁾؛ وهو تباين يقوم على التمييز بين ثلاث مقاربات أساسية؛ هي:

- تأثير دورة الحياة؛ أي معرفة خصائص التطور المرتبط بكل مرحلة من الحياة المفسرة للسلوكات السياسيّة المختلفة لكل

صراعاً بين الجيل الجديد والجيل القديم، وأن هذا الصراع حاداً جداً، سواء في الأحزاب أو في خارجها⁽³⁰⁾.

والحقيقة أن هذه الحملات - وهي الأبرز من حيث التعبئة والحضور الميداني والمشاركة الشبابية - لم تكن إلا أمثلة لجملة من الحملات الأخرى التي ما انفكت تكتسح المجال العام، مثل حملة "موش على كيفك"⁽³¹⁾. كما أن المداخلات في الندوات المذكورة ليست إلا عينة مما يُتداول من مواقف شبابية.

أما التحركات الشبابية التي ظهرت بغتة بعناوين الإبداع وحرية التعبير بعد الثورة مباشرة، ونشطت بقوة في أثناء ما عُرف بـ "حكومة الترويكا"⁽³²⁾، وأوحت بتشكّل قيم جديدة، واقتحام عصر جديد من الحرية، على غرار "الهارلم شيك" Harlem Shake (وهو نوع من الرقص الوافد من الغرب، استطاع اقتحام فضاءات تربوية حساسة مثل المدرسة)، والـ "وان مان شو" السياسي One man show (وهو نوع من الأداء المسرحي الفردي الساخر)، وحتى "الجرافيتي" Graffiti (وهو نوع من الكتابة أو الرسم على الجدران بطريقة مستفزة ومثيرة)، فقد تبين أنها لم تكن تعبيرات شبابية خلاقة وخالصة يمكن قراءتها ضمن أفق الوعي السياسي والجماعي، بقدر ما كانت محاولة لاستفزاز نظام "الحكم الإسلامي"؛ إذ سرعان ما اختفت بسقوط حكومة الترويكا وعودة المنظومة القديمة إلى الحكم.

والمفارقة أن الجيل الذي لم يشارك في الثورة ضمن قواعد المقاربة الجيلية، أتاحت له الثورة، بفضل ما وفرته من مناخات حرة، المجال ليعبّر عن انشغالاته بما يستجيب لشروطها، غير أن الإشكال المطروح يبقى في الهنات التي تنطوي عليها هذه المقاربة نفسها.

ثانياً: عجز المقاربة الجيلية عن مقارنة الثورة التونسية

يتضح عجز المقاربة الجيلية عن مقارنة الثورة التونسية، من خلال بعدين: الأول يتعلق ببنية المقاربة الجيلية نفسها (عجز داخلي)، والثاني يتعلق بصعوبة تحديد الشباب ضمن خانة النخبوي أو الطليعي (عجز خارجي).

30 "فيديو لندوة الشباب التونسي: الواقع، التحديات والحلول"، موقع مركز دراسة الإسلام والديمقراطية، 2016/9/24، شوهد في 2018/5/6، في: <https://goo.gl/jttjgh>

31 هي حملة نظمها مجموعة من الشباب لمطالبة وزارة الداخلية بسحب مشروع قانون زجر الاعتداءات على قوات الأمن من مجلس نواب الشعب لما فيه من فصول تتعارض مع الدستور وتمس حرية التعبير.

32 الائتلاف الذي حكم تونس في أثناء المرحلة الانتقالية (2011-2014)، وتشكل من ثلاثة أحزاب رئيسة: حركة النهضة، والمؤتمر من أجل الجمهورية، والتكتل الديمقراطي من أجل العمل والحريات.

33 عزي، ص 30.

34 Boumaza, p. 194.

35 حسن طارق، "تأملات حول قضايا الشباب السياسيّة والانتقال الديمقراطي"، منبر الدكتور محمد عابد الجابري، د.ت.، شوهد في 2018/5/6، في: <https://goo.gl/scK2RC>؛ المرصد الوطني للشباب، الشباب والمشاركة السياسيّة، ص 2.

36 Récappé, p. 205.

الباب مفتوحاً لطرح الأسئلة الأشد إلحاحاً: كيف يمكن التفريق بين آثار السن، وآثار الجيل، وآثار المرحلة؟ ما أهمية وعي الذات بوعيها الجيلي؟ ما أهمية العلاقات بين الأجيال في تشكيل تطور كل جيل؟ كيف تشكل الذهنيات الجماعية؟ ووفق أي مسار⁽⁴²⁾؟ وهذه الأسئلة بالغة الأهمية، وللإجابة عنها تداعيات عملية عديدة، ولا سيما على الصعيد التطبيقي⁽⁴³⁾.

ووجبت الإشارة أيضاً إلى أن مفهومَي الجيل و"الزمرة" ليسا دائماً واضحين، وكثيراً ما يُعرّف أحدهما على أساس الآخر⁽⁴⁴⁾، وفي أحيان أخرى يحدث تداخل بين الجيل السياسي والجيل الفكري أو النخبوي⁽⁴⁵⁾، بل إننا لا ندري إن كنا إزاء جيل واحد أم أجيال متعددة، ونحدث عن جيل سياسي أم إننا بصدد اختلاق أسطورة جيل، على غرار جيل عام 1968⁽⁴⁶⁾.

يبدو ضبط الحدود الزمنية التي يستغرقها الجيل، أو تحديد الفاصل الزمني بين جيلين، من أهم الصعوبات التي تواجهها الدراسات الجيلية، والخلاف بين المختصين في هذا المجال ليس هيناً؛ فبعضهم يرى أن المدى الزمني للجيل يدوم 16 عاماً، والبعض الآخر يحدده بـ 30 عاماً⁽⁴⁷⁾. ويبدو أن وتيرة التغيير الاجتماعي هي التي تفسر هذا الاختلاف؛ فكلما كانت هذه الوتيرة سريعة يتناقص الفارق الزمني بين الأجيال.

ويذهب ميشال فيليبيار إلى أن الفاصل الزمني بين الأجيال يجب أن يخضع لاعتبار التمييز بين الطبقة العمرية والزمرة والجيل. وإذا كان هذا الفاصل لا يتجاوز بضع سنوات بالنسبة إلى الطبقات العمرية، فإنه يتجاوز العشرية بالنسبة إلى الزمرة، ويراوح بين 15 و20 عاماً بالنسبة إلى الجيل⁽⁴⁸⁾.

أما أنصار نظرية دورة الحياة فيركزون تحديداً على العوامل السوسيوديموغرافية المتعلقة بالأساس بتأخر الشباب عن خوض غمار الحياة العملية (من خلال الشغل والزواج وتكوين الأسرة)، بوصفها سبباً في تمُدّد الفاصل الزمني بين الأجيال، وما ينتج منه من إطالة مرحلة الشباب. والنتيجة أن عملية تحديد حدود الجيل تبدو "نوَعاً

فئة عمرية. وترى هذه المقاربة أن كل مرحلة عمرية تتميز بخصائص فيزيولوجية واهتمامات عاطفية واجتماعية تفرز هوية ذاتية مستقلة عن الآخرين، وخصوصاً الكبار⁽³⁷⁾. هنا يتم استخدام مفهوم الجيل ليدل على العلاقات البيولوجية بين أجيال القرابة، كالعلاقة بين جيل الآباء وأبنائهم.

”

تنزيل المقاربة الجيلية على الثورة التونسية، مع كون هذه المقاربة وليدة مناخات اجتماعية وسياسية عربية مغايرة لواقعنا الثقافي العربي، قد يورطنا مجدداً في الانجرار المعرفي الذي لن يكون إلا على حساب خصوصياتنا المحلية وحقيقتنا الموضوعية

“

• تأثير ما يُطلق عليه بالإنكليزية "Cohort"، وهو مفهوم لم يحظ بعد بتعريف موحد في اللغة العربية، وترجمته مشتتة بين "الزمرة" و"الجماعة" و"الفوج" و"الكتيبة" و"العصبة"، ولكنه يفيد مجموعة الأفراد الذين جرّبوا الأحداث نفسها في الحقبة الزمنية نفسها. وهو بذلك يختلف عن مفهوم الجيل الذي يفترض وجود وعي جماعي يتميز من بقية الشرائح الاجتماعية بجملة من الخصائص، ويحاول التأثير في مجرى الأحداث؛ ذلك أن "الزمرة" تشكل فئة اجتماعية "في ذاتها"، في حين أن الجيل هو مجموعة اجتماعية أو سياسية تعمل "لذاتها"⁽³⁸⁾.

• تأثير المرحلة، أي تأثير كبرى الأحداث المعاصرة والاستثنائية في الأفراد والجماعات، على نحو يخلق حالة من التفاعل والتأثير فيهم⁽³⁹⁾؛ وهو ما يعني بروز جيل سياسي لا يرتبط بالأساس بالعوامل الداخلية التي تجمع أفرادها، وإنما يتعلق بعامل خارجي هو الذي يعطي الجيل هويته، وهو ما يُسمّى الحدث المولّد⁽⁴⁰⁾.

غير أن تعدد المقاربات الجيلية، على الرغم من محاولة بعض الدارسين تجاوز تناقضاتها الداخلية، ضمن مقاربة تفاعلية فيما بينها⁽⁴¹⁾، ترك

42 Boumaza, p. 198.

عزي، ص 49.

44 Boumaza & Havard, p. 185.

45 Sirinelli, pp. 72-73.

46 Boumaza & Havard, p. 186; Sirinelli, pp. 74-75.

عزي، ص 40.

48 Michel Philibert, "Rapport au temps et fossé des générations," Actes du colloque CNRS/Association des FED' ages, Gif-sur-Yvette, November 29-30, 1979, cité dans Attias-donfut, p. 44.

37 Braungart & Braungart, pp.16-17.

38 Ibid., p. 21.

39 Ibid., pp. 27-28.

40 Jean François Sirinelli, "Génération et histoire politique, Vingtième siècle," *Vingtième Siècle, Revue d'histoire*, no. 22 (1989), p. 72.

41 Braungart & Braungart, p. 38.

أما مارك تسلر، فقد وجه نقدًا قاسيًا إلى هذه المقاربة الجيلية بتأكيد، أولًا، أن المواقف والقيم التي يكوّنها الأفراد في فترة شبابهم غير ثابتة، وهي تتغير طوال حياتهم باستمرار، ولا تقف عند محطة معينة كما تزعم النظرية الجيلية؛ وبتأكيد، ثانيًا، أن الأحداث التاريخية الكبرى لا يتباين تأثيرها في الناس بحسب المرحلة العمرية، وإنما يكون هو نفسه تقريبًا بقطع النظر عن طبيعة شرائحهم العمرية⁽⁵⁹⁾.

في الواقع، لا يعود عجز المقاربة الجيلية عن مقارنة الثورة التونسية فقط إلى هشاشة مفاهيمها وضعف بنائها الداخلي، ولكن إلى عجزها عن قراءة واقع الاحتجاجات الشبابية كما جرت إبان الثورة أيضًا.

2. عجز خارجي: عجز المقاربة الجيلية عن قراءة تحركات الشباب في الثورة التونسية

على الرغم من التطورات التي عرفتها المقاربة الجيلية، خصوصًا في خمسينيات القرن الماضي ضمن الأفق الجديد للدراسات السوسولوجية؛ حيث أصبح مفهوم الجيل مرادفًا لمفهوم الشباب، بعد أن بات محور المقاربة الجيلية⁽⁶⁰⁾ - وهذا خلافًا لما كان عليه الوضع سابقًا لما كان مفهوم الجيل يقترب بجيل البالغين⁽⁶¹⁾ - فإن المقاربة الجيلية بقيت على حالها في عدم اشتراط مشاركة كل الشباب لكي يحدث التغيير الجيلي؛ إذ يكفي مشاركة جزء منهم في صناعة الأحداث. كما لا تشترط أن يكون الجميع على موقف واحد⁽⁶²⁾، إذ يكفي أن يقود الحركة الجيلية نخبة من الشباب القادرين على تمثّل مشاغلهم، وهو ما يسميه مانهايم "الوحدات الجيلية" التي تتمتع بوعي جبلي تستطيع من خلاله تجنيد الوحدات الجيلية الأخرى⁽⁶³⁾. وهنا يتضح عجز المقاربة الجيلية عن مقارنة الثورة التونسية

ما اعتباطية؛ ذلك "أن الأحداث المُشكّلة للأجيال لا تقع وفق وتيرة منتظمة"⁽⁴⁹⁾.

ويُعدّ الجيل السياسي من أبرز المفاهيم التي تزيد المقاربة الجيلية هشاشة. وعلى الرغم من الإضافات التي قدّمها رودلف هابري وفانسون تورنيي - إذ خصص الأول في كتابه، *الحركات الاجتماعية*، مبحثًا كاملًا للأجيال السياسية، معتبرًا أن تغير الأفكار السياسية مرتبط بتغير الأجيال، وأن الأفكار التي تتشكل لدى الفرد في مرحلة شبابه يكون أثرها حاسمًا في تشكل شخصيته⁽⁵⁰⁾؛ بينما أكد الثاني ضرورة ربط الذهنية الجماعية بالحدث المؤلّد⁽⁵¹⁾ - فإن مفهوم الجيل السياسي، باستثناء مجهود مارغريت وريتشارد برونغارت بقي شبه غائب في دراسات علم الاجتماع السياسي والعلوم السياسية⁽⁵²⁾، ومصدرًا للالتباس والغموض⁽⁵³⁾. هل توجد علاقة سببية بين الجيل والحدث السياسي؟ وأيهما يهد للآخر؟ وهل يؤدي التحرك الاحتجاجي إلى ظهور الجيل؟ أم هل إن الجيل هو الذي يؤدي إلى التحرك الاحتجاجي؟ وهل يمكن قياس الوعي الجماعي أو الوعي الجيلي قياسًا علميًا؟ ومتى تتشكل الأجيال السياسية⁽⁵⁴⁾؟

جعلت هذه الأسئلة وغيرها المقاربة الجيلية برمتها عرضة للنقد. وقد عبر بيار فافر عن رفضه القطعي لفكرة الجيل، معتبرًا أنها نوع من اللغو الذي يفتقر إلى الأساس العلمي⁽⁵⁵⁾؛ إذ لا يوجد معيار لقياس الجيل السياسي، كما أن الحدث المؤلّد، أي الإشكالية التاريخية التي تكون سببًا في ولادة جيل معيّن، وتعطيه هويته، وتشكّل ذاكرته الجماعية، لا يمكن أن يخترل نشأة الأجيال السياسية وحده، والأهم من ذلك أن الأحداث التاريخية، على أهميتها، كثيرًا ما لا تترك أثرًا في نشأة الأجيال⁽⁵⁶⁾، وربط بروز الجيل بالحدث التاريخي يقلل من أهمية الحدث نفسه، بحكم اختزاله في المسألة الجيلية⁽⁵⁷⁾، والحال أن الذاكرة الجماعية والمجتمعية، كما تقول كلاودين أتيا-دونفو، تتجاوز الذاكرة الجيلية⁽⁵⁸⁾.

59 Mark Tessler et al., "Political Generations in Developing Countries: Evidence and Insights from Algeria," *Public Opinion Quarterly*, vol. 68, no. 2 (2004), p. 188.

60 Shmuel Nooh Eisenstadt, *From Generation to Generation: Age Group and Social Structure*, 2nd ed. (New Brunswick, London: Transaction Publishers, 2002);

عزي، ص 33.

61 Norman B. Ryder, "The Cohort as a Concept in the Study of Social Change," *American Sociological Review*, vol. 30, no. 6 (1965), p. 844; Boumaza, p. 190.

62 Karl Mannheim, *Le problème de générations* (Paris: Nathan, 1990), p. 120.

63 Alessandro Cavalli, "Generations and Value Orientations," *Social Compass*, vol. 51, no. 2 (2004), p. 163;

عزي، ص 38.

49 عزي، ص 49.

50 Heberle; Boumaza, p. 194.

51 Tournier, p. 230.

52 Boumaza & Havard, pp. 183-184.

53 Récappé, p. 205.

54 وفقًا لمحمد فريد عزي، تتشكل الأجيال السياسية عبر صيرورة معقدة، تتداخل فيها الأحداث التاريخية مع عملية التنشئة السياسية، لكي تنتج نظرة سياسية مميزة للجيل يصعب حل خيوطها. عزي، ص 50.

55 Pierre Favre, "De la question sociologique des générations et de la difficulté à la résoudre dans le cas de la France," in: Crête & Favre, p. 319.

56 عزي، ص 26.

57 Attias-donfut, p. 46.

58 Ibid., p. 48.

النمطية التي قُدمت عن الشباب غداة 14 كانون الثاني/يناير 2011 في الصحف الوطنية والعالمية، بوصفهم هؤلاء الشباب الجامعيين المثقفين، الحاملين للشهادات العلمية، العاطلين عن العمل، وهو طرح لم يسلم منه مفكرون كبار على غرار فوكوياما⁽⁶⁶⁾. وهذه هي الصورة التي عمل العقل الغربي على اختلاقها وفقاً لرؤية "استشراقية جديدة"، في محاولة منه لتأكيد قدرة الحضارة الغربية مجدداً على تحرير شعوب الشرق من العبودية التي تعيشها، بفضل ما تتيحه لها هذه الحضارة من وسائل اتصال حديثة ونمط اجتماعي عصري⁽⁶⁷⁾.

أما تصنيف الشباب على أساس وظيفي، بين التلميذ، والجامعي، والعامل، والباحث عن العمل، والعاطل، وهو التصنيف الذي نقترحه بوصفه الأقرب لقراءة الثورة التونسية ومقاربة دور الشباب فيها، فهو يدحض بدوره الطرح السائد (من أن الثورة التونسية من صنع الشباب المثقف الجامعي الحامل للشهادات العلمية، العاطل من العمل)؛ ذلك أن أغلب الشباب الجامعيين كانوا منغمسين في فترة المراجعة، ويستعدون للعودة الجامعية لإجراء الاختبارات. وأما حاملو الشهادات العلمية العاطلون عن العمل الذين تراوح أعمارهم عادة بين 23 و30 سنة، فقد كانوا منشغلين بإجراء الاختبارات الكتابية والشفاهية، خصوصاً أن هذه الفترة كانت تعج بالمنظرات الوطنية؛ حيث شملت الآلاف من الشباب الحاملين للشهادات العليا. وعلى هذا الأساس يمكن القول إن الشباب الجامعيين، وهم نخبة الشباب، كانوا تقريباً خارج التحركات الاحتجاجية التي كانت تجري في البلاد، وذلك على عكس ما حصل في فرنسا والمكسيك والمجر. وحتى إن شارك بعضهم في الاحتجاجات العامة أو في داخل الحرم الجامعي، فلم يكن لذلك أي آثار عملية⁽⁶⁸⁾.

في المقابل، كانت المشاركة الحقيقية في أحداث الشغب من جانب الشباب "التلميذ" الذي كان في عطلة ويستعد للعودة المدرسية يوم 2 كانون الثاني/يناير 2011، ولكن وزارة التربية آنذاك سرعان ما تدخلت لتأجيل عودته المدرسية، في محاولة لتجنب الفوضى في المدارس، فكان ذلك بمنزلة الإذن له بتفجير طاقات العنف التي بداخله، وإثارة الشغب الذي لم يكن دائماً في علاقة بما يجري في البلاد

وخصوصيتها؛ وذلك لسببين: أولهما أن الشباب المشاركين في الثورة لم يكونوا شباباً طلائعيين، ودليل ذلك أنهم لم يتحركوا انطلاقاً من الجامعة، أو المدن، أو حتى العاصمة، ولم يكونوا يملكون القدرة على التأثير والتجنيد. والسبب الآخر أن "شباب الثورة" الافتراضيين لم يكونوا يحملون مشروعاً سياسياً بوصفه ثمرة وعيهم الجيلي.

ويبدو التصنيف الذي اعتمده مصطفى حجازي للشباب، بتمييزه بين الشباب "النخبوي" والشباب "المحظي" والشباب "المكافح" وشباب "الظل"⁽⁶⁴⁾، بالغ الأهمية لقراءة الثورة التونسية وهوية الشباب المشاركين فيها؛ فشباب الظل تحديداً، وهم المشاركون الأساسيون في الثورة، لم يكونوا يملكون وعياً سياسياً؛ ذلك أن انتماءهم إلى الشرائح الشعبية الأكثر فقراً وحرماناً من التعليم والتشغيل لم يمكنهم من هذا الوعي. وهذا ما أبانت عنه نوعية الشهادات التي عُرضت إلى حد الآن من خلال جلسات الاستماع لهيئة الحقيقة والكرامة، فضلاً عن قائمة الشهداء التي نُشرت في بعض المجلات والتقارير⁽⁶⁵⁾. وينطبق الأمر نفسه تقريباً على ما يسميه حجازي الشباب المكافحين، وهم الشباب الباحثون عن العمل من أبناء الأسر متوسطة الدخل، الذين حظوا برعاية أسرية مقبولة، ولكنهم لم يتمكنوا من اقتحام سوق الشغل على الرغم من تحصيلهم العلمي الجامعي، فيتولد من ذلك حالة من الاحتقان الوجداني الذي سرعان ما يتفجر أثناء الأزمات الاجتماعية.

أما شباب النخبة والشباب المحظي، فهم ينتمون إلى الشرائح الشبابية الميسورة. فشباب النخبة هم الشريحة التي حظيت بأفضل رعاية أسرية، وبأعلى مستويات التعليم والمهارات المهنية، وهي بحكم نشأتها تبدو الأبعد عن الانخراط في التحركات الاحتجاجية؛ فهي تدخل سوق العمل بلا عناء، وسرعان ما تصل إلى مستويات قيادية تتيح لها المكانة الاجتماعية اللائقة، وسرعان ما تضحّي بالحرية السياسية وتنخرط في منظومة الحكم.

أما الشباب المحظي فهم "أبناء محدثي النعمة" الذين استأثروا بثروات البلاد بفعل اقترابهم من دوائر الحكم، واستطاعوا الاستفادة من هذه المكانة للحصول على الشغل الملائم والتمتع بالأمن والحماية؛ وهي شرائح لم تتضرر يوماً من النظام السابق، وكانت مستفيدة من خياراته وسياساته باستمرار. وهنا، لا بد من الانتباه إلى الصورة

66 Francis Fukuyama, "The Middle-Class Revolution," *Wall Street Journal*, 28/6/2013, accessed on 6/5/2018, at: <https://goo.gl/tQcGSb>

67 Mounia Bennani-Chraïbi & Olivier Fillieule, "Pour une sociologie des situations révolutionnaires, Retour sur les révoltes arabes," *Revue française de science politique*, vol. 62, no. 5-6 (2012), p. 774.

68 يمكن أن نشير هنا إلى الاحتجاجات الطلابية التي حدثت في 5 كانون الثاني/يناير 2011 في كلية الآداب 9 أفريل بتونس العاصمة، وكلية الآداب بسوسة التي شهدت مواجهات حادة بين الطلبة وأعاون مكافحة الشغب، انظر: نزار شقرون، رواية الثورة التونسية (صفاقس: دار محمد علي الحامي، 2011)، ص 34.

64 مصطفى حجازي، "ثورة الشباب وتحولاتها الثقافية"، ورشة الموارد العربية، [د.ت.]. شوهدي في 2018/5/6. في: <https://goo.gl/nz5Fgz>

65 "قائمة أسماء الشهداء: الوفيات والضحايا"، قضايا إستراتيجية، العدد 7 (2012)، ص 108-151؛ اللجنة الوطنية لاستقصاء الحقائق حول التجاوزات والانتهاكات، التقرير (تونس: نيسان/أبريل 2012)، ص 653 وما بعدها؛ هيئة الحقيقة والكرامة، "جلسة الاستماع العلنية الخامسة 14 جانفي 2017"، موقع هيئة الحقيقة والكرامة، 2017/1/15، شوهدي في 2018/5/6. في: <https://goo.gl/JkXPBY>

لا ترى نفسها معنية بالموضوع من الأصل. والحقيقة أن الاحتجاجات التي انتشرت في المناطق الداخلية لم تكن رغبة جيلية في الاعتناق والتحرر، ولكنها كانت تنبع من وضع جغرافي وتاريخي يحفر بعيداً في البنى الاقتصادية والاجتماعية لتلك المناطق الخاضعة بدورها إلى سوسيولوجيا "التوازنات الزبونية" التي أرساها النظام السابق، وكان يشرف عليها الحزب الحاكم نفسه من خلال خلاياه في الجهة⁽⁷⁰⁾.

أما المسألة الثانية التي تبرز من خلالها هشاشة المقاربة الجيلية وعجزها عن مقاربة الثورة التونسية، فتُطرح على مستوى علاقة الشباب بالإنترنت. والثابت أن الفيسبوك، بعد 17 كانون الأول/ ديسمبر 2010، أثبت يوميات الثورة على نحو مكثف؛ إذ صار المصدر الأول لنشر المعلومة، واضطلع بدور مهم في التصدي للخطاب الرسمي للنظام، والرد على رواية وسائل الإعلام الرسمية لحقيقة ما يحصل على أرض الواقع، بل الذهاب إلى حد التحريض على إسقاط النظام (يومَي 10 و11 كانون الثاني/يناير 2011).

كما اضطلع المدوّنون، على الرغم من عزلتهم عن الرأي العام، بدور مهم أيام الثورة في نقل الخبر وتغطية الأحداث بطريقة فاقت الإعلام العمومي الذي اختصر دوره في تبرير الأحداث والدفاع عن النظام. ونجحوا في أن يؤثثوا الفضاء الافتراضي بجملة من الرسوم الكاريكاتورية الساخرة، والمقالات المترجمة إلى اللغات الأجنبية؛ في محاولة للكشف عن الحقيقة القمعية لنظام بن علي.

غير أن هناك جملة من الملاحظات والأسئلة التي وجب طرحها لنقف على حقيقة استجابة الثورة التونسية للمقاربة الجيلية، نسوقها على النحو الآتي:

- تبقى شبكة الإنترنت أداة، لا فاعلاً مستقلاً، وهذا ما يفرض علينا التنسيب عندما نتناول دورها في الثورة التونسية⁽⁷¹⁾. وكما يقول غلال أمين، فالثورات لا تدار من خلف الحواسيب⁽⁷²⁾. وهنا، لا بد من أخذ جملة من المعطيات في الاعتبار، منها أن استعمال الإنترنت في المناطق الداخلية، منبع الثورة، مثل سيدي بوزيد والقصرين، لم يكن بالحجم نفسه الذي كان في المدن الكبرى والعاصمة⁽⁷³⁾، وأن هذا الاستعمال لم يكن يعني بالضرورة

70 Allal, "Trajectoires," p. 821.

71 Romain Lecomte, "Révolution tunisienne et Internet: le rôle des médias sociaux," *L'Année du Maghreb*, vol. VII (2011), p. 393.

72 Amin Allal, "Avant on tenait le mur, maintenant on tient le quartier!," *Politique Africaine*, no. 121 (2011) p. 59; Michael Bécher Ayari, "Non, les révolutions tunisienne et égyptienne ne sont pas des révolutions 2.0," *Mouvements*, vol. 2, no. 66 (2011), pp. 56-61.

73 أحمد خواجه، "الممارسات الثقافية ودورها في اندلاع الثورة في ولايتي سيدي بوزيد والقصرين"، في مجموعة مؤلفين، *الثورة التونسية*، ص 192.

من توتر، بل إن عدم استئناف عودته المدرسية على نحو طبيعي سمح بتحويل الساحات العامة والشوارع إلى ما يشبه ملاعب رياضية رُفعت فيها كل شعارات كرة القدم المعهودة، وظهرت فيها كل السلوكيات التي اعتاد الشباب التلميذ على ممارستها إثر نهاية كل مقابلة رياضية. وهذا ما تَقَطَّن إليه بعض الباحثين في سعيهم لقراءة طبيعة الاحتجاجات آنذاك وتتبع جذورها⁽⁶⁹⁾. وهنا، لا بد أن نتساءل عن مدى صلاحية الأخذ بالمقاربة الجيلية وحدودها، ليس فقط لأن المشاركين في الاحتجاجات لم تتجاوز سنهم في أغلب الأحيان 15 سنة، ولكن لِمَا تميزت به الاحتجاجات من عنف وفوضى.

”

شباب الثورة هم شباب الجهات لا العاصمة؛ شباب النزوم والأحياء الشعبية لا المدن؛ الذكور لا الإناث؛ الشباب التلميذ لا الجامعي؛ الشباب المهمش تحديداً لا شباب العائلات الميسورة والأحياء الراقية التي سارع "الأمن" و"الدفاع" إلى حمايتها

“

ومهما كانت التصنيفات الشبابية، فإن شباب الثورة هم شباب الجهات لا العاصمة؛ شباب النزوم والأحياء الشعبية لا المدن؛ الذكور لا الإناث؛ الشباب التلميذ لا الجامعي؛ الشباب المهمش تحديداً لا شباب العائلات الميسورة والأحياء الراقية التي سارع "الأمن" و"الدفاع" إلى حمايتها من هجوم حشود الجماهير الغاضبة في يوميات الثورة.

وهنا، يجدر التذكير بأنه إلى حدود يوم 12 كانون الثاني/يناير 2014 كانت المقاهي والمطاعم في كل الأحياء الراقية، في العاصمة أو غيرها من المدن الكبرى، تعيش في عالم آخر لا يمت بصلة لما يجري في البلاد من أحداث. كما أن جزءاً كبيراً منهم في ذلك الوقت كان منخرطاً في احتفالات رأس السنة الميلادية. وهذا ما يدعونا إلى التوقف عند مفهوم الشباب الطليعي أو النخبوي ودوره كما ورد في نظرية كارل مانهايم، والقول بعجز هذه النظرية عن الإلمام بالثورة التونسية؛ ذلك أن الشباب النخبوي لم يكن مسموياً بالثورة، خلافاً للشباب المهمش والمنسي الذي شكّل وقودها. والمفارقة أن الشريحة الشبابية التي شاركت في الاحتجاجات فعلاً، لا يبدو عليها الاهتمام بأي قراءة تحاول أن تنزع عنها شرف المشاركة في الثورة أو أن تشملها به، إنها

69 Ashraf El-Sherif, "The Ultras' Politics of Fun Confront Tyranny," *Jadaliyya*, 5/2/2012, accessed on 6/5/2018, at: <https://goo.gl/gHVrf>

شعارات نقابية. وقد نفت فاطمة رياحي، وهي مدونة عُرفت في الفضاء التدويني باسم "أرابكا"، أن يكون هناك شعار واحد من بين تلك التي رُفعت خلال الاحتجاجات مصدره المدونات⁽⁷⁸⁾. أما عبارة "ديجاج"، أي "ارحل"، فعلى الرغم من انتشارها على صفحات الفيسبوك قبل أن تنزل إلى شوارع العاصمة، فلا بد من القول إن صاحبها من جيل الكهول، وهو المعارض السياسي طارق المكي، المقيم في كندا، وكان قد أطلقها من خلال تسجيلات الفيديو التي كان يبثها عبر صفحته على الفيسبوك، ولم يقم الشباب بصياغتها.

● بسقوط نظام بن علي، سقطت مواقع الصفحات الفيسبوكية في صراعات بينية حادة، والنتيجة تُهم متبادلة، وتراشق بالشائعات والسباب. وهذا ما يؤكد غياب الرؤية المشتركة للعالم، فضلاً عن الوعي الجيلي لدى أصحابها.

أما الأسئلة التي يجب أن تُطرح انطلاقاً من هذه الملحوظات فهي عديدة: هل يمكن أن نتحدث عن وعي جيلي فيسبوكي؟ وهل يكون الاحتجاج افتراضياً؟ وهل يؤثر تداول مقاطع الفيسبوك ونشرها إلى وعي سياسي؟ وهل يمكن وضع الشباب الناشطين على الفيسبوك في خانة الجيل السياسي، وإدراج ما يقومون به في خانة الوعي الجيلي؟ هل يمكن قياس الوعي السياسي من خلال النشاط الفيسبوكي؟ وماذا عن قيمة نشر المعلومة على الفيسبوك والحال أنها عملية لا تتطلب أي جهد؟ ثم كيف تتعامل مع مسألة السن إذا كان أغلب المشرفين على الصفحات تجاوزت سنهم 25 سنة؛ أي إنهم تجاوزوا المرحلة العمرية التي تعتمد عليها الدراسات السوسولوجية لتعريف الشباب؟ وهنا، لا مناص من ربط الدراسات الجيلية بالدراسات السوسولوجية المتعلقة بالشباب، وهي دراسات مختلفة بدورها حول تحديد سن الشباب؛ فبعض الدراسات يحصرها في الفترة بين 15 و24 سنة، والبعض الآخر يرى أنها تمتد من 15 إلى 39 سنة، وهناك من يذهب إلى أنها لا تتجاوز الفترة الممتدة بين 12 و16 سنة⁽⁷⁹⁾. ولكن الغالب الأعم من هذه الدراسات يحدّد مرحلة الشباب بين 15 و24 سنة، وهذا هو التحديد المعتمد دولياً (من البنك الدولي، ومنظمة الأمم المتحدة)⁽⁸⁰⁾، وإن كان تقرير إزالة الحواجز أمام إشراك الشباب، المتعلق بالحالة التونسية، قد أدرج الشباب في الفئة العمرية التي تراوح بين 15 و29 سنة⁽⁸¹⁾. والثابت أن هناك أسئلة

الانخراط في الشأن العام والاهتمام به؛ فموضوعات الشبكة التي تستقطب اهتمام الشباب عديدة، ولكل منهم مآربه فيها؛ علماً أن مواقع عديدة كانت منخرطة في الدفاع عن النظام وتبرئة ساحته.

● لا ينبغي لنا أن ننسى حالة الارتباك التي كانت تخيم على مستعملي الإنترنت قبل الثورة، وحرصهم على تفادي المقاطع أو الصور، مخافة حجب صفحاتهم⁽⁷⁴⁾، وحتى في أيام الثورة، كثيراً ما كان التفاعل باهتاً. وقد كشف رومان لوكونت، من خلال تصفحه مختلف المدونات ومواقع الفيسبوك حينها، عن حقيقتين: انتشار ظاهرة اللامبالاة لدى مستعملي الإنترنت، وأن جل مستعملي الإنترنت المهتمين بالمسائل السياسية والمواطنة كانوا بالأساس من المواطنين بالخارج، والبعض منهم من دوائر العاصمة⁽⁷⁵⁾، معتبراً أن الاحتفاء بثورة الفيسبوك كما صورها الإعلام مُبالغ فيه، وأن الزعم أن شباب الفيسبوك هم شباب الثورة غير "واقعي"⁽⁷⁶⁾.

● إن مشرفي الصفحات الفيسبوكية في جيلهم كانوا يتجاوزون 25 سنة تقريباً، وأن النشاط السياسي على الفيسبوك غالباً ما كان يمارسه جيل الكهول، لا جيل الشباب. أما المدونون، وهم الأقرب إلى الاستجابة إلى شرط الوعي السياسي، فكان جُلهم، فضلاً عن تجاوزهم سن الثلاثين، من محترفي مهنة الصحافة. وهذا يعني أنهم لم يتولوا تغطية الأحداث انطلاقاً من وعيهم المواطني بوصفهم مدونين على الإنترنت، ولكن لأنهم كانوا يعملون بالأساس لفائدة وسائل إخبارية أخرى، غير أنهم أثناء عملهم يهرون عبر مدوناتهم لنشر ما حُرّموا من نشره في الوسيلة الإعلامية التي يعملون لفائدتها. وهذا ما يخالف الفلسفة التي قامت عليها المدونات، التي تقضي بامتناع المدون عن نشر مادته الإخبارية في غير مدونته⁽⁷⁷⁾.

● ينبغي لنا التذكير بأن أغلب الشعارات التي رُفعت خلال التظاهرات التي انطلقت في أواخر عام 2010 كانت بالأساس

74 أيمن الرزقي، "شباب الفيسبوك وثورة 14 جانفي"، في مجموعة مؤلفين، الانتقال الديمقراطي في تونس (تونس: الديوان للنشر، 2012)، ص 237-238.

75 Lecomte, "Révolution tunisienne et Internet," pp. 390, 395.

76 Romain Lecomte, "Les usages "citoyens" d'internet dans le contexte autoritaire tunisien," in: Sihem Najjar (dir.), *Le cyberactivisme au Maghreb et dans le monde arabe* (Paris: IRMC-Kharthala, 2013), p. 73.

77 كان سفيان الشورابي، صاحب مدونة "تونس أخرى ممكنة" التي أحدثها في حزيران/ يونيو 2008، صحافياً في جريدة الطريق الجديد. كما كانت لنا بن مهنّي، صاحبة مدونة "بنية تونسية" A Tunisian girl تشغل على ذمة قناة TFI حينما كانت تغطي الأحداث عن قرب في سيدي بوزيد، وكان برفقتها فريق صحافي مكلف بتغطية الأحداث. أما سامي بن غربية، وهو مدون معروف، فهو نفسه أحد مؤسسي موقع نواة، راجع: نسرین رمضانی، "المدونون"، في مجموعة مؤلفين، الانتقال الديمقراطي، ص 260-263.

78 حوار أجرته معها نسرین رمضانی في المرجع نفسه، ص 267.

79 عزت حجازي، الشباب العربي ومشكلاته، سلسلة عالم المعرفة 6 (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1985)، ص 28-29.

80 المرجع نفسه، ص 2.

81 البنك الدولي للإنشاء والتعمير، ص 5.

المراجع

العربية

البنك الدولي للإنشاء والتعمير، مجموعة البنك الدولي. تونس: إزالة الحواجز أمام إشراك الشباب. واشنطن دي سي: 2014.

الجمهورية التونسية، رئاسة الحكومة. "أمر حكومي عدد 345 لسنة 2017 مؤرخ في 9 مارس 2017 يتعلق بتنقيح الأمر عدد 1290 لسنة 1999 المؤرخ في 7 جوان 1999 المتعلق بتنظيم المعهد الأعلى للقضاء وضبط نظام الدراسات والامتحانات والنظام الداخلي". الرائد الرسمي للجمهورية التونسية. السنة 160. العدد 20 (آذار/ مارس 2017).

حجازي، عزت. الشباب العربي ومشكلاته. سلسلة عالم المعرفة 6. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1985.

الحكيم، توفيق. ثورة الشباب. القاهرة: دار مصر للطباعة، 1988.

شقرن، نزار. رواية الثورة التونسية. صفاقس: دار محمد علي الحامي، 2011.

عزي، محمد فريد. "الأجيال والقيم: مقارنة للتغير الاجتماعي والسياسي في الجزائر". أطروحة دكتوراه دولة في علم الاجتماع السياسي. جامعة وهران. وهران - الجزائر، 2008.

"قائمة أسماء الشهداء: الوفايات والضحايا". قضايا إستراتيجية. العدد 7 (2012).

اللجنة الوطنية لاستقصاء الحقائق حول التجاوزات، التقرير. تونس: نيسان/ أبريل 2012.

مجموعة مؤلفين. الانتقال الديمقراطي في تونس. تونس: الديوان للنشر، 2012.

مجموعة مؤلفين. الثورة التونسية: القادح المحلي تحت مجهر العلوم الإنسانية. الدوحة بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2014.

المرصد الوطني للشباب. الشباب والمشاركة السياسية: مسح استطلاعي لنوايا المشاركة في الشأن العام. تونس: 2012.

هيئة الحقيقة والكرامة. "جلسة الاستماع العلنية الخامسة - 14 جانفي 2017". موقع هيئة الحقيقة والكرامة. 2017/1/15. في:

<https://goo.gl/JkXPBY>

مستجدة فرضت نفسها بفعل تطور وسائل التواصل الاجتماعي وهي في حاجة إلى الإجابة.

خاتمة

موضوع الشباب والثورة في تونس كثر فيه التوظيف السياسي، وياتي مُلحاً تناوُلُه ضمن مقاربة علمية تنأى به عن التجاذبات السياسية. من هذا المنطلق، بدت المقاربة الجيلية الأنسب لقراءة الثورة التونسية في علاقتها بالشباب، خصوصاً أنها تقوم على الربط بين العامل الجيلي والمتغيرين السياسي والاجتماعي. ولا تتوقف أهمية المقاربة الجيلية هنا على أنها أسلم السبل لفك طلاسم الثورة التونسية، والوقوف عند أسبابها فحسب، ولكنها مثلت فرصة ثمينة للتوقف عند هذه النظرية التي ما انفكت تشغل اهتمام الباحثين أكثر فأكثر، وباتت تفرض نفسها ضمن كبرى المقاربات التاريخية والاجتماعية التي تطمح إلى تفسير التحولات الاجتماعية والسياسية الكبرى.

غير أن محاولة قراءة الثورة التونسية وفقاً للمقاربة الجيلية لم تكد تبدأ حتى اصطدمت بأشدّ الإشكاليات حرقه وإلحاحاً: هل تصلح هذه المقاربة بالأساس لقراءة الثورة التونسية؟

وقد تبين من خلال البحث أن الثورة التونسية تقبل القراءة الجيلية؛ فالشباب وتحركاتهم الاحتجاجية كانوا حاضرين بقوة، و"الحدث السياسي" تجلّى في أبلغ معانيه (الثورة)، غير أن عناصر عديدة ك"الوعي السياسي" و"الجيل السياسي" وغيرهما من أسس المقاربة الجيلية ومفاهيمها تبدو باهتة ومفقودة.

وكشفت لنا محاولة الغوص بقدر أكثر في أعماق هذه المقاربة العلمية عن حقيقة أخرى لا تقل أهمية، وهي أن هذه المقاربة تعاني نقائص في مسار تشكّلها، وغموصاً في مفاهيمها، وتبايناً في تصوراتها.

والنتيجة (أو المفارقة) التي انتهينا إليها هي أنه عندما نريد أن ننزل المقاربة الجيلية على الثورة التونسية نكتشف أنها لا تستجيب لشروطها الأساسية على النحو المطلوب، وعندما ننجح في أن نعثر على بعض العناصر التي تستجيب للملامح الكبرى للمقاربة الجيلية نكتشف أنها، أي المقاربة الجيلية، تشكو النقائص وتعاني الهنات.

وعموماً، إذا كانت الثورة التونسية تبدو في حاجة إلى مزيد من الوقت للعثور على القراءة الدقيقة لفك طلاسمها، فإن المقاربة الجيلية تحتاج بدورها إلى الدراسات الدقيقة التي تستوعب التطورات الأخيرة التي فرضها واقع العالم الافتراضي.

الأجنبية

_____ (dir.). *Le désengagement militant*. Paris: Belin, 2005.

Heberle, Rudolf. *Social Movements: An Introduction to Political Sociology*. New York: Appleton Century-Crofts, 1951.

Knoke, David. "Conceptual and Measurement Aspects in the Study of Political Generations." *Journal of Political and Military Sociology*. no. 12 (1984).

Lecomte, Romain. "Révolution tunisienne et Internet: le rôle des médias sociaux." *L'Année du Maghreb*. no. VII (2011).

Mannheim, Karl. *Essays on the Sociology of Knowledge: Collected Works*. vol. 5. Paul Kecskemeti (ed.). London: Routledge & Kegan Paul, 1952.

_____. *Le problème de générations*. Paris: Nathan, 1990.

Mentré, François. *Les générations sociales*. Paris: Bossard, 1920.

Najar, Sihem (dir.). *Le cyberactivisme au Maghreb et dans le monde arabe*. Paris: IRMC-Kharthala, 2013.

Récappé, Bénédicte. "Mobilisation étudiante et génération politique: qui précède l'autre? Réflexions comparatives à partir des exemples hongrois (1956) et mexicain (1968)." *Revue internationale de politique comparée*. vol. 16. no. 2 (2009).

Ryder, Norman B. "The Cohort as a Concept in the Study of Social Change." *American Sociological Review*. vol. 30. no. 6 (1965).

Sirinelli, Jean François. "Génération et histoire politique, Vingtième siècle." *Vingtième Siècle, Revue d'histoire*. no. 22 (1989).

Tessler, Mark et al. "Political Generations in Developing Countries: Evidence and Insights from Algeria." *Public Opinion Quarterly*. vol. 68. no. 2 (2004).

Y Gasset, José Ortega. *Le thème de notre temps*. Sainte-Foy: Le Griffon d'argile, 1926.

Allal, Amin. "Avant on tenait le mur, maintenant on tient le quartier!" *Politique Africaine*. no. 121 (2011).

_____. "Trajectoires 'révolutionnaires,' processus de radicalisations politiques, 2007-2011." *Revue française de science politique*. vol. 62. no. 52012) 6-).

Attias-donfut, Claudine. "La notion de génération: Usages sociaux et concept sociologique." *L'Homme et la société*. no. 9 (1988).

Ayari, Michael Béchir. "Non, les révolutions tunisienne et égyptienne ne sont pas des révolutions 2.0." *Mouvements*. vol. 2. no. 66 (2011).

Bennani-Chraïbi, Mounia & Olivier Fillieule. "Pour une sociologie des situations révolutionnaires, Retour sur les révoltes arabes." *Revue française de science politique*. vol. 62, no. 52012) 6-).

Boumaza, Magali. "Les générations politiques au prisme de la comparaison." *Revue internationale de politique comparée*. vol. 16. no. 2 (2009).

Boumaza, Magali & Jean François Havard. "Génération politiques: Regards comparés. Avant-propos au thème." *Revue internationale de politique comparée*. vol. 16. no. 2 (2009).

Cautres, Bruno & Nonna Mayer (dir.). *Le nouveau désordre électoral: Les leçons du 21 avril 2002*. Paris: Presses de sciences po, 2004.

Cavalli, Alessandro. "Generations and Value Orientations." *Social Compass*. vol. 51. no. 2 (2004).

Crête, Jean & Pierre Favre (dir.). *Génération en politique*. Paris and Laval: Economica/ PUL, 1989.

Eisenstadt, Shmuel Nooh. *From Generation to Generation: Age Group and Social Structure*. 2nd ed. New Brunswick, London: Transaction Publishers, 2002.

Fillieule, Olivier. "Propositions pour une analyse processuelle de l'engagement individuel." *Revue française de science politique*. vol. 51. no. 12001) 2-).